اتجاهات النقد المغاربي

الإتجاه التقليدي : هو واحد من الاتجاهات النقدية التي تعاملت مع النص الادبي المغاربي ،فقد اتبع أصحاب هذا الاتجاه نهج اسلافهم القدماء،وحذوا حذوهم حيث راوا فيهم المثل الأوفى والنموذج الأوحد الذي ينبغي أن يتبع .إضافة إلى استرشادهم بالنقاد الإحيائيين في المشرق خلال مطلع القرن العشرين الذين كان يتزعمهم ( مصطفى صادق الرافعي) .إن نظرة أصحاب هذا الاتجاه التقليدي كانت تتطابق مع نظرة أسلافهم ،وكانوا يعتقدون " أن نظرة غير نظرة القدماء إلى الشعر وغيره من الفنون لا يمكن إلا ان تكون ضارة بوحدة الادب العربي " .(1

ومثل هذه النظرة إنما ترجع بالأساس إلى الظروف التي عاش فيها اولئك النقاد ، وقد سيطر فيها الاستعمار الذي كان يحرب اللغة العربية والدين الاسلامي ، خصوصا في الجزائر ، لذلك رأوا أن التمسك بالقديم في الإبداع والنقد إنما هومحافظة على العربية والاسلام . لقد حاول احمد الاكحل أن يحدد مفهم الشعر فلم يجد خيرا من الاعتماد على اقوال من سبقوه ،فقال : " فالشعر إذن هو الكلام الموزون المقفى المركب من اجزاء تسمى بالتفاعيل .وتلك مركبة من الأسباب والاوتاد والفواصل ...ويكون ذلك الكلام مقصودا بوزن عربي ." (2)

من الواضح أن احمد الاكحل ينظر إلى الشعر نظرة قديمة اتباعية ، فهو في الحقيقة لم يخرج عن حدود ما قاله القدماء عن الشعر، إنه يذكرنا بعناصر الشعرالاربعة التي ذكرها ( قدامة بن جعفر ) في تعريفه للشعر : اللفظ ، والمعنى ،و الوزن ، والقافية .فقد كاد يطابق تعريف سابقيه .كما عرف النقاد المغاربيون الشعر بانه " ديوان العرب " ويقصدون أنه سجل تقيد فيه تقاليد الامة وعاداتها .فقداستخدم محمد بن عباس القباج وأبو اليقظان كلمتي "مرآة" و"ديوان " في تعريفهم للشعر ما يدل على التقاء نظرة نقاد المغرب العربي بنظرة أسلافهم يظهر ذلك في قول محمد بن عبا س الفباج : " لم يزل الشعر في كل عصر، وفي كل امة ، مرآة صافية تنعكس فيها أخلاقها ، وعوائدها ،وآمالها ، واتجاهاتها " .(3) ولم يبعد أبو اليقظان عن قول القباج ، إذ قال : " اعلم أن آداب كل أمة مرآتها ،ومرآة الادب الشعر" (4).وكانوا يميلون إلى الشعر المطبوع ،وينبذون الشعر المتكلف المصطنع .ولعل خير ما يوضح ذلك تعليق عبد السلام العلوي على أبيات لابي علي المنطقي الذي يقول في احدها :

يا ريم وجدي فيك ليس يريم بين الضلوع وإن رحلت مقيم

فقد قال :" لا شك أن الجناس في ريم ويريم ،والطباق في رحلت ومقيم .مما يزيد الابيات برودة فوق برودة ، ويخرج بها من حيز الطبيعة إلى حيز التكلف المضحك " .

كما كانت نظرتهم إلى العمل الادبي تتصف بالجزئية ، فلم يكونوا يتناولون العمل برمته ،وإنما يتوقفون عند بعض الجزئيات ، ولذلك غلب الطابع الجزئ على نقدهم مثال ذلك ما لاحظه ( عبد الوهاب بن منصور ) على شعر الامير عبد القادر الذي لم يخل أحيانا من الابتذال في اللفظ والمعنى ، " وقد عرف ابن منصور بهذه الجزئية في دراسته لشعر الامير . فقد اكثر من محاسبته على اللفظة المبتذلة ، وعلى المعنى العادي .وكان يرى أن الابتذال في اللفظ والمعني يلحق شعر الامير في بعض قصائده بكلام العمي المتسولين على أبواب المقاهي والمتاجر والدور " . اضافة إلى ذلك فقد اهتم نقاد المغرب العربي بالنقد اللغوي ، وهو عندهم لا يقتصر على مناقشة استخدام الالفاظ والعبارات ، وتصحيح المعاني فحسب نبل يمتد إلى النظر في قواعد اللغة ، وفي مدى صحة استخدام هذه القواعد ، ذلك ما نعثر عليه في اعمال نقاد المعرب العربي وبخاصة نقاد المغرب الاقصى الذيكانوا يهتمون باللغة اهتماما خاصا ، ومن هؤلاءالنقاد محمد بن عباس القباج وعبد الله كنون وغيرهما .

1-محمد مصايف ،النقد الادبي الحديث في المغرب العربي ،ص21.

2- المرجع نفسه، ص31

3- المرجع نفسه ،ص32.

4- المرجع نفسه ، ص32

وفضلا عما تقدم فإن النقد المغاربي لم يخل من الأسلوب الخطابي الذي يبتعد عن الموضوعية نحو مانجده في بعض نصوص ( البشير الابراهيمي ) ، من ذلك قوله في الشاعر محمد العيد : "الاستاذ محمد العيد شاعر الشباب ،وشاعر الجزائر الفتية ، بل شاعر الشمال الافريقي ، بلا منازع ، شاعر مكتمل الادوات ، خصيب الذهن ، رحب الخيال متسع جوانب الفكر ، طئر اللمحة ، مشرق الديباجة ، متين التركيب ، فحل الاسلوب ، فخم الالفاظ ، محكم النسج ملتحمه ".1فهذا يدل عتى التقرير والخطابية التي يمتاز بها هذا النقد .

والتفت النقاد المغاربيون إلى الوزن والقافية ، وقد لاحظوا في هذا الجانب عدم اكتراث الشعراء بالعروض إلى درجة أن ابراهيم بورقعة خشي أن تصبح تونس من غير شعراء في معرض تعليقه على قصيدة الشاذلي عطاالله : " وأصبح البعض منهم لا يحسن حتى معرفة بحور الخليل وأوزان الشعر ، حتى الخفبف منها والبسيط "2

الاتجاه التجديدي : لقد عرف النقد المغاربي اتجاها آخر، وهو الاتجاه التجديدي( الرومانسي )،لاشك أن نقاد هذا الاتجاه قد أفادوا من أصحاب التجديد في المشرق العربي ،كجماعتي" الديوا ن " و" أبولو" ،وكان ذلك عن طريق الجرائد والمجلات والكتب التي كانت تصل بطرق مختلفة . يميل هذا الاتجاه في معالجته للنصوص إلى التجديد ما جعله مختلفا عن الاتجاه التقليدي . وقد وا بجماعة الديوان وأبولو،وميخائيل نعيمة . وبحكم إجادتهم للغة الفرنسية ، فقد أتيح لهم الإطلاع على الثقافة والتيارات الغربية .

يرى محمد مصايف ان هذا الاتجاه يميزه " التأثر بالنقد العربي الحديث ، والانفتاح على التيارات الغربية ، والتقليل من استحياء النقد العربي القديم ".

ومن النقاد الذين مثلوا هذا الاتجاه في الجزائر ، يبرز اسم رمضان حمود (1906-1929) الذي كان يرى "أن من واجب الشباب أن يفهموا أسرار اللغة فهما جيدا ، وأن يحاولوا تطوير هذه اللغة بحيث تتجاوز الماضي ، فتصبح لغة المستقبل ".لقد كان حمود من من دعاة التجديد ، ونبذ التقليد ، و لذلك فلا عجب ان يقدم مفهوما جديدا للشعر يختلف عما كان سائدا عند اصحاب الاتجاه المحافظ ، والحق أنه لم يبعد عما طرحه أصحاب الديوان ،يقول " إن الشعر كما قال شابلن هو النطق بالحقيقة ، تلك الحقيقة العميقة الشاعر بها القلب والشاعر الصادق قريب جدا من الوحي ". يتضح جليا من النص أن الناقد يرفض التعريف القديم للشعر ،والذي يحتكم إلى الوزن والقافية ، إنه يتجاوزه ولا يعتد به ، ويستند إلى الناقد الفرنسي شابلن لتحديده **، إنه باختصار شديد النطق بالحقيقة .حقيقة ما في أنفسنا وحقيقة ما في الوجود . كما أن تاثره بجماعة الديوان يعكسه قوله :**

فقلت لهم لما تباهوا بقولهم ألا فاعلموا أن الشعور هو الشعر

فهو قريب من قول عبد الرحمن شكري :

ألا يا طائر الفردو س إن الشعر وجدان

أما أبوالقاسم الشابي فإنه يراه تعبيرا عن الحياة عن الحياة الانسانية حينما يقول :" أما أ نا فلا أفهم من الشعر إلا أنه فيض الحياة في أيقظ "ساعاتها ، وأحفلها بنوازع الفكر والشعور. وكما أن السحابة العابرلا قد تسيل السيول وقد تسكب القطرات ، كذلك نفس الشاعر ".فالشعر عند الشابي تعبير عن الحياة الإنسانية بأوسع معانيها.

1-محمد مصايف ، النقد الادبي الحديث في المغرب العربي ،65.

2- المرجع نفسه ،ص68 .

3- المرجع نفسه ، ص231.

4-المرجع نفسه

5-المرجع نفسه ،ص126.

وإلى جانب رضا حمود فقد مثل هذا الاتجاه في الجزائر رضا حوحو ، وحمزة بوكوشة ،واحمد بن ذياب. وفي تونس الشابي محمد الحليوي ومحمد البرشوش ، والتريكي والكتاني والتازي في المغرب الاقصى .

إن نقاد المغرب العربي يرون ألا تطور للأدب والنقد إلا بترك التقاليد الموروثة ، فناهظوا التقليد ورفضوه ،وهاجموا أصحابه مثلما يتضح في هجوم رمضان حمود على الشاعر احمد شوقي رأس المدرسة التقليدية المحافظة.فشوقي في رأيه لم يأت بجديد ، وأنه ظل محافظا على القوالب القديمة رغم اعترافه له بإحياء الشعر العربي يقول " نعم إن شوقي الذي أحيا الشغر العربي بعد موته ،أو كان في طليعة من أحياه لم يأت بشيء جديد لم يعرف من قبل ، سن طريقة ابتكرها من عنده ، وخاصة به دون غيره ، أو اخترع أسلوبا يلائم العصر الحاضر " (1) فشوقي في نظر حمود مقلد من الطراز الاول، لم تكن له الشجاعة الكافية للتصرف في القالب القديم ،وفي إيجاد أسلوب جديد خاص يتمشى مع العصر .

وفضلا عن مهاجمة نقاد المغرب العربي للتقليد ، فقدرفضوا شعر المناسبات كما هو الحال بالنسبة للشاعر محمد التازي ،الذي رفض الشعر الذي يقال في عيد العرش ،وعده من " صميم أدب المناسبات الذي يبتغي فيه صاحبه الحصول على الجائزة المالية"**(2) .فإنكار أدب المناسبات منقبل نقاد المغرب العربي أنما يعود إلى عدم صدقه وتصنعه ، واعتماده على قوالب ومعان جاهزة ،** وفتور عاطفته .

**إضفة إلى ما تقدم فقد تناول نقاد المغررب العربي، قضية موسيقى الشعر فتحدثوا عن الوزن والقافية . فاحمد عبد السلام يذهب** إلى أن الوزن هو الذي يكسب الشعر جمالا فيقول : " الشعر كما رأيته مقيد جماله بجمال أوزانه ورقة ألفاظه سواءأقرئ جهارا أم همس به همسا "(3). والحق أن أن حديثهم عن الوزن كان اكثر من القافية. اما موقفهم من الشعر الحر فقد رفضوه صراحة ،ودافعوا عن القالب العمودي للشعر . يبدو ذلك عند احمد الفاني واحمد ذياب ونورالدين صمود .

اما موقفهم من اللغة فإنهم طالبوا ببساطة اللغة في الفاظها واساليبها ، يرفضون اللغة القديمة ، والاساليب المعقدة .فرمضان حمود لم يترددفي نفي الشاعرية عن الشاعر الذي يستخدم هذه اللغة ،فيقول : " لا يسمى الشاعر شاعرا عندي إلا إذا خاطب الناس باللغة التي يفهمونها بحيث تنزل على قلوبهم نزول ندى الصباح على الزهرة الباسمة ،لا أن يكلمونا في القرن العشرين بلغة امرئ القيس وطرفة والمهلهل الجاهليين . "(4)

فنقاد المغرب العربي اهتموا في هذا المجال بان تكون اللفظة بسيطة واضحة ،وألا يكون الاسلوب معقدا . ولقد دعا رمضان حمود إلى الابتعادعن التكلف ، والصدق في التعبير ، يقول : " فيا أيها الادباء الأحداث انبذوا عنكم التكلف والتنطع في اللغة ، وأفرغوا اللفظ الجميل في المعنى الجميل ". وعلى العموم فقد أنكر نقاد المغرب العربي الإغراب

1-محمد مصايف النقد الادبي ،ص94.

2 – المرجع نفسه ، 99.

3 – المرجع نفسه ، ص130.

4- المرجع نفسه ، ص152 .